علاقة اللغة بالأنظمة المعرفية والعقائد وانعكاسات الفعل الترجمي على الهوية والواقع

The relationship of language to cognitive systems and beliefs and the implications of the translational act on identity and reality

عمار قاسمي *

قسم العقيدة ومقارنة الأديان، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة الجزائر

a.gasmi@univ-emir.dz

تاريخ الاستلام: 2022/08/02 تاريخ القبول 2022/09/27 تاريخ النشر 2022/10/13

ملخص: جل الأبحاث اللغوية تؤكد التفاعل بين الأنظمة المعرفية واللغة والواقع، فالأنظمة المعرفية بمكوناتها؛ من قوانين العقل، وفعالياته العليا، والعقائد والإيمانيات ومختلف المسلمات، هي التي تساهم في نحت مفردات اللغة، وصياغة جملها، وتتولى وظائف الإسناد في الأفعال والتصورات والأحكام والأوصاف، وبناء، وإعادة بناء المفاهيم. واللغة هي الأخرى بخصائصها، تساهم في بناء وإعادة بناء الأنظمة المعرفية. هذا التفاعل المتبادل يعطي للغة بنيتها الخاصة وللفكر صورته المتميزة التي تحدد رؤيته الكونية، وكلما انتقل الفعل اللغوي من البسيط إلى المركب، أصبح الواقع عجينة طيعة في قبضة اللغة، فيؤثر ذلك في بناء وإعادة بناء الهوية الفردية والجماعية.

الكلمات المفتاحية: النظام المعرفي؛ العقيدة؛ الترجمة؛ الهوية؛ الواقع.

Abstract: Most linguistic research confirms the interaction between knowledge, language and reality, as it is knowledge of its components that contribute to the carving of vocabulary of the language, the formulation of its sentences, and the functions of attribution in actions

---

* المؤلف المراسل

and perceptions... and build concepts. Language, too, with its characteristics, contributes to the building and reconstruction of knowledge systems. This mutual interaction gives the language its structure and the thought its image that defines its cosmic vision, and as the linguistic act moves from simple to complex, the reality is in the grip of language, affecting the building of individual and collective identity.
***key words**:* Knowledge system; creed; translation; identity; reality

مقدّمة:

إذا كان فعل البناء الحضاري يقوم أساسا على بناء النظام المعرفي، فإن هذا الأخير يقوم على قطبين أساسيين؛ اللغة والفكر أو العقيدة، فالنظام المعرفي في نهاية التحليل هو عبارة عن مفاهيم مشحونة بأفكار وعقائد الثقافة التي نشأ في ظلها، وأي محاولة لبناء الحضارة أو هدمها ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بالمفاهيم المحورية التي تشكل النظام المعرفي الأصل، وأي بلبلة في المفاهيم المركزية يؤدي إلى اضطراب النظام المعرفي وبالتالي إلى شلل الحركة الحضارية، ففي تاريخ المسلمين مثلا: تم تشويه مفهوم العقل والحرية والسببية، فنتجت عن ذلك ثلاثة قضايا هي: قضية العقل والنقل، وقضية الجبر والاختيار، وقضية السببية، وهي قضايا زعزعت كيان الأمة ومزقتها شر ممزق، وبما أن الترجمة تساهم بشكل أو بآخر في توجيه المفاهيم توجيها أيديولوجيا معينا، فإنها تصبح تؤثر على الهوية والأنظمة المعرفية بطريقة أو بأخرى.

وعليه فالإشكالية المطروحة هي: كيف تشتبك اللغة مع المضامين التي تنقلها اشتباكا عموديا وأفقيا؟ وكيف تؤثر على العقائد والأنظمة المعرفية؟ وكيف يؤثر الفعل الترجمي على الهوية والواقع؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية المحورية والإشكاليات الفرعية سلك البحث منهج الاستقراء كمنهج محوري واعتمد الكثير من الآليات المنطقية واللسانية.

ويفترض أن هناك علاقة تفاعلية بين الأنظمة المعرفية واللغة؛ ويحتمل أن تكون الأنظمة المعرفية بمكوناتها؛ من قوانين العقل، وفعالياته العليا، والعقائد والإيمانيات ومختلف المسلمات، هي التي تساهم في نحت مفردات اللغة، وصياغة جملها، وتتولى وظائف

الإسناد. كما يحتمل أن تكون اللغة هي الأخرى بخصائصها؛ نحوها وصرفها وبلاغتها وحركتها وتركيبها..، تساهم في بناء وإعادة بناء الأنظمة المعرفية.

ويهدف هذا الموضوع إلى إبراز الخلل الذي أصاب النظام المعرفي الأصلي الذي هندس أركانه، الرسول الكريم بهدي من الوحي خطوة، خطوة، في تدرج عجيب نحو هدف بعيد، وتربية رفيعة تراعي طبيعة الإنسان الروحية والعقلية والنفسية والجسمية، لتنقله برفق من الظلمات إلى النور، والذي لا يمكن استئناف أية نهضة حضارية إلا بالاقتداء بهذا العمل ومراعاة هذه المسيرة المعرفية والحركة النبوية. من خلال الوقوف عند مفهومي الترجمة والهوية ومعرفة علاقة العقائد بالأنظمة المعرفية، ومعرفة انعكاسات الفعل الترجمي على الهوية والواقع.

المبحث الأول: الترجمة والهوية وعلاقة العقائد بالأنظمة المعرفية

لما كان السبب المحوري لظهور الترجمة هو الإرادة الإلهية التي شاءت أن تختلف الألسنة بين بني الإنسان، فيضطر بعضهم إلى ترجمة تراث البعض الآخر للاستفادة منه، كان من الضروري الوقوف عند مفهوم الترجمة والنقل وتأثيرهما في الأنظمة المعرفية، ثم بيان كيف يؤثر ذلك على الهوية، وبيان علاقة اللغة بالعقائد والأنظمة المعرفية، ثم الوقوف عند بعض إيجابيات العمل الترجمي حين يساهم في إثراء ودعم اللغة وتوسيع مجالها.

المطلب الأول: وقفة عند مفهوم الترجمة والنقل

رغم أن لفظ "ترجمة" ورد في بعض المعاجم العربية مثل؛ "لسان العرب"؛ "فالترجمان هو الذي يترجم الكلام وينقله من لغة إلى أخرى"(1) ورغم أن بن منظور حاول أن يجد لها وزنا فالترجمان على وزن "فُعلُلان"، إلا أن الكلمة دخيلة على العربية وتحمل الكثير من الدلالات التي انتقلت معها من نظامها المعرفي الذي تنتمي إليه، فلكل كلمة أصل لا تنفك ترضع منه مهما تغيرت بنيتها وموقعها، فهناك من يعتقد أنها من أصل مسماري (تراكود) وهناك من يرجعها إلى الكتابة الهيروغليفية (تراكوم) وهناك من يؤصلها في اللغة اللاتنية.. إلخ، وبالرجوع إلى المثل الروماني الشهير الذي يقول: "المترجم خائن"

(Tradurrore Traditore) يتضح أن الجذر اللغوي واحد هو "Trad" وكأن الرومان قد أحسوا أن الترجمة من لغات يختلف أصلها عن الأصل الموجود في لغتهم، إنما هو خيانة للأمانة وتغيير في المعنى.

والحاصل أن انقسام الأمة الواحدة إلى شعوب مختلفة بافتراق لسانها الواحد إلى ألسنة متعددة حسب ما تحكيه "قصة برج بابل"[(2)] الشهيرة صيرت حاجة هذه الشعوب ماسة إلى التفاهم فيما بينها، وكان السبيل الوحيد إلى ذلك طريق الترجمة، فكان من أقدم الوثائق المترجمة في العالم "خطابات العمارنة" و"هذه الخطابات هي صحف من الطين مكتوبة بالخط المسماري البابلي وهي تمثل أرشيفا كاملا للعلاقات الدبلوماسية لملكي مصر أمنحتب الثالث وأمنحتب الرابع من ملوك بابل وآشور، ومثنى وختّا، مع أمراء جزر بحر إيجة والولايات المصرية في آسيا"[(3)]. والكتابة المسمارية هي "العلامات الصورية المرسومة على ألواح الطين المكتشفة في الطبقة الرابعة من موقع الوركاء في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين ويرجع تاريخها حسب تقدير الباحثين إلى حدود 3500 ق م"[(4)]، وكانت تستخدم للتعبير عن عدة لغات في آن واحد مثل الهيروغليفية والأكادية والحيثية، وهي "تشبه الهيروغليفية المصرية من حيث أنها صور تعبر عن أفكار وحروف صوتية ومخصصات"[(5)].

من أمثلة الترجمة أيضا الخطابات الموجودة في بوغاز كوى عاصمة الحيثيين والتي تجمع هي الأخرى بين لغات عديدة مثل الحيثية وهيروغليفية الحيثيين وهما لغتان من أسلاف اللغات الهند أوروبية والمورية والأكادية وهما لغتان ليستا هند أوروبية[(6)].

غير أن هذا الطريق سرعان ما صار وسيلة لنشر الأفكار والثقافات والمعتقدات من اللغة الأصل التي تنتمي إلى ثقافة معينة إلى اللغة المترجم إليها التي تنتمي إلى ثقافة أخرى مغايرة، خاصة بعد ظهور الوساطة في الترجمة، فبالرجوع إلى تاريخ هيرودوت[(7)] مثلا: يتبين كيف استطاع الكهنة المصريون أن ينقلوا إليه الكثير من المفاهيم الخاطئة عن طريق الترجمة والخداع، وكيف استمرت هذه المفاهيم حتى عصور متأخرة.

وكانت أول خطوات الترجمة الرسمية في الإسلام؛ صدور قرار عبد الملك بن مروان لتعريب الدواوين وجَعْل اللغة العربية لغة رسمية لكتابة العقود والتسجيلات، فكان ذلك عاملا حاسما في نشر العربية في أرجاء الدولة، وتولدت عن ذلك حاجة ملحة لها في مجالات كثيرة منها الإدارية والعلمية والاقتصادية والسياسية...[(8)]، وكان المترجمون الأوائل ينقلون من لغات ثلاث؛ الفارسية في العراق، واللاتينية في الشام، والقبطية في مصر، وانتشرت الترجمة بعد ذلك في مختلف العلوم ومن مختلف اللغات، فهذا البيروني حقق ما وفد من الهند من مقولة مقبولة أو مذمومة، فهو كان يجيد اليونانية والفارسية والسريانية إلى جانب اللغة العربية والسنسكريتية ويترجم عنها، بل ويدرك بعمق أهمية الكتابة واللسان في نقل الخبر "فمن أين لنا العلم بأخبار الأمم لولا خوالد آثار القلم؟"[(9)]، وفي العصر العباسي نشطت حركة الترجمة وتأسس بيت الحكمة في بغداد، وكان المأمون يعطي وزن الكتاب المترجم ذهبا، فكان عصر نهضةٍ شاملة غزت فيه العلوم الكونية فكر المسلمين وجعلت آثارها تظهر في جميع نواحي الحياة، وقد أدرك هؤلاء العلماء المتقدمون أهمية اللسان العربي ومحوريته في بناء الهوية الحضارية حتى اعتبره بعضهم سلاح أدرجه ضمن الأسلحة التي يجب أن يتحصّن بها المسلم والتي تدخل في الآية الكريمة: **﴿ودَّ الذِين كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُون عن أسْلِحَتِكُم﴾** (النساء:102)، وهذا ابن أبي أصيبعة وضع في طبقاته بابا كاملا هو الباب التاسع، تحت عنوان: طبقات الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي، وذكر الذين نقلوا لهم[(10)]، فحركة الترجمة لم يكن هدفها -في البداية- محاربة لغة من اللغات أو حضارة من الحضارات، ولكن كان الهدف منها هو الحفاظ على اللغة والزيادة في العلم، إلا أن هناك علوم أثرت في اللغة والهوية بشكل غير مباشر منها علم المنطق.

المطلب الثاني: انقلاب مفهوم الهوية إلى مفهوم الماهية

الهوية اسم ليس عربي في أصله وإنما اضطر إليه بعض المترجمين، فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط "هو" الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع[(11)]، فقد اشتق

من ضمير الغائب المفرد "هو" واستعمل أول ما استعمل بمعنى "الوجود" و"التَّشخُّص"، وضده في هذا الاستعمال هو لفظ "الماهية"، "فمطلب: ما هو؟ مقابلٌ لمطلب: هل هو؟؛ الأول يراد به الماهية والثاني الوجود والهوية"[12]، فالماهية إذن مشتقة من صيغة السؤال ما هو؟ والمقصود بماهية الشيء على وجه الإجمال "ما به يكون الشيء هو، هو"[13]، أي جملة الخصائص أو الصفات التي يدركها العقل من الشيء والتي تجعله هو نفسه لا غيره، بمعنى تفصله عن سواه فصلا كليا، لهذا كان أول أركان الفلسفة اليونانية الثلاثة؛ قانون الهوية.

وبيان التضاد بين الهوية والماهية أنه يجوز أن نعرف وجود الشيء من غير أن نعرف كيف نصفه، كما أنه يجوز أن نعرف وصف الشيء من غير أن نعرف هل هو موجود أو غير موجود.

لكن لفظ الهوية انقلب مع العرب المحدثين إلى الدلالة على ضده أي الماهية، فصار يقال مثلا: "الهوية الثقافية لقوم ما والمراد ليس وجودهم الثقافي وإنما هو ماهيتهم الثقافية أي مجموعة الصفات الثقافية التي يختص بها هذا القوم"[14]، ولما كان هذا الانقلاب مشروعا بموجب المنطق الطبيعي للغة[15]، فقد أخذنا به هاهنا وجعلنا الهوية عبارة عن الخصائص التي يتميز بها الشيء عن غيره.

فالهوية تعبر عن الحقيقة المطلقة للشيء والتي تشتمل على الصفات الجوهرية التي تميزه عن غيره، فهي تعبر عن مطابقة الشيء لذاته، ولهذا فإن الهوية الثقافية لأي شعب هي القدر الثابت والجوهري والمشترك من الخصائص والسمات والقسمات العامة التي تميز حضارته عن غيرها من الحضارات[16]، وموقف الإسلام من الهوية موقف واضح وصارم؛ فقد حرّم التغيير المسخي للهوية مثل: تبتيك الآذان وتغيير الجنس.. بل أن برنامج الإسلام قائم للحفاظ على الهوية والفطرة الآدمية، بينما برنامج إبليس يسعى جاهدا لمسخ هذه الهوية وطمس معالمها.

فالهوية من مصادر القوة التي تسعى الشعوب إلى امتلاكها، لأن عناصرها هي القادرة وحدها على صهر الشعوب في لحمة واحدة، تعطيها قوة الحركة والدفع نحو تحقيق ريادتها الحضارية، فهي تخرج من عملية ثقافية تضرب بجذورها في أعماق التاريخ.

وقد اختلف الباحثين حول تحديد العناصر التي تشكل الهوية؛ لكن اتفقوا كلهم على أن اللغة عنصر جوهري في بنائها، فجل الباحثين في تخصصات دقيقة مثل؛ علم الدلالة الثقافية، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي.. توصلوا إلى أن اللغة "تشتبك مع الموضوع الذي تنقله اشتباكا عموديا وأفقيا أي في صلب الهوية" سواء كانت هذه اللغة أصلية أو لغة مترجم إليها.

المطلب الثالث: علاقة اللغة بالعقائد والأنظمة المعرفية

قال الله عز وجل: **﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾** (يوسف:2)، ما كنت أدري لما فاضت نفسي بهذه الآيات عندما أخذت القلم لأكتب مضامين هذا المطلب، ولما جاشت بهذا الاعتراف الشامل للغة العربية وعلاقتها بكليات الإيمان والقرآن، ولكني بعد أن كتبت الآية وسجلت الاعتراف وضعت القلم ورجعت إلى نفسي أسائلها: بأي شعور كانت مغمورة؟ فخفقت خفقة هي أشبه بلفتة المذعور، كأنها تبحث عن هذا الشعور في الماضي المتصل بالحال، وتبين لي أنها كانت سابحة في جو من التفكير في حال المسلمين واستعراض ماضيهم السعيد وحاضرهم الشقي، وتلمس الأسباب والعلل لهذا الانحطاط المريب بعد ذلك الارتفاع السريع، وكأنها وقفت بعد ذلك الاستعراض وقفة الحيران تسأل: كيف يشقى المسلمون وعندهم القرآن الذي أسعد سلفهم؟ أم كيف يتفرقون ويضلون وعندهم الكتاب الذي جمع أولهم على التقوى، فلو أنهم اتبعوا القرآن وأقاموا القرآن لما سخر منهم الزمان وأنزلهم منزلة الضعة والهوان، ولكن الأولين آمنوا فأمنوا واتبعوا الرسول فارتفعوا.

لقد أنفق الرسول ﷺ من عمره ما يقرب عن ثلاثة وعشرين عاما، تمثل المدة التي نزل فيها القرآن منجما، وبين كل وحي ووحي مدة انقطاع تتفاوت طولا وقصرا، وطيلة هذه

المدة بنا الرسول الكريم النظام المعرفي الأصلي وهندس أركانه، بهدي من الوحي خطوة، خطوة، في تدرج عجيب نحو هدف بعيد، وتربية رفيعة تراعي طبيعة الإنسان الروحية والعقلية والنفسية والجسمية، لتنقله برفق من الظلمات إلى النور "ولو أن القرآن كان قد نزل جملة واحدة لتحول سريعا إلى كلمة مقدسة خامدة وإلى فكرة ميتة، وإلى مجرد وثيقة دينية، لا مصدر يبعث الحياة في حضارة وليدة"[(17)]، وكل محاولة لاستئناف النهضة الحضارية لا تقتدي بهذا العمل ولا تراعي هذه المسيرة المعرفية والحركة النبوية سيكون مآلها الفشل لا محال.

وقد أدرك أعداء الإسلام قيمة هذا النظام المعرفي المتراص في بنائه المفاهيمي، فقاموا بالتشويش على المفاهيم المحورية فيه، كمفهوم العقل الذي تمخضت عنه قضية العقل والنقل، ومفهوم الحرية الذي تمخضت عنه قضية الجبر والاختيار، ومفهوم السببية...إلخ، هذه القضايا التي زعزعت كيان الأمة وفرقتها إلى شيع وطوائف بعد نهاية حقبة الخلافة الراشدة.

فرغم تعدد زوايا النظر في القرآن الكريم إلا أنه يصب في قطبين أساسيين: "اللغة والفكر، فالقرآن كتاب عقدي وأدبي في الوقت ذاته"[(18)]، وإذا كان النحو العربي في القديم اهتم ببيان ما يُعرب وما يُرفع أو يُنصب أو يُجر أو يُجزم، وترك تصميم الجملة ومواقع مفرداتها والمعاني المختلفة لأدواتها والأساليب الصحيحة في استعمالها لأن السليقة العربية مازالت على الفطرة، فقد استغل المستشرقون هذا الباب، فاستطاعوا أن يحدثوا الخلل في بناء الجملة العربية ذاتها، وأضحت عباراتنا تعاني من تشويه عجيب أصاب هيكلها في الصميم، هذا الواقع اللغوي الجديد يقتضي هندسة جديدة للنحو العربي تنظر في الأساليب الصحيحة لبناء العبارة العربية قبل النظر إلى ما يعتري مفرداتها من تغير في حركات أواخرها، وتهتم بالتحليل اللغوي قبل التحليل اللفظي[(19)].

ولما كانت الهندسة العقدية مرتبطة بالهندسة اللغوية، فإن الأسئلة التي تثير نفسها: هل غرض الأصولي أو عالِم العقيدة أن يبلغ العقائد ويخبر بالحقيقة فقط؟ دون أن يراعي الجوانب العملية في هذه العقائد؟

وهل اللغة مجرد ألفاظ تنزل من المعاني منزلة أصوات تبلغها إلى السامع أو منزلة حروف تجلب لها الأنظار؟ وهذا يعني أن لباس النطق لا توجبه إلا ضرورة السمع، كما أن لباس الكتابة لا توجبه إلا ضرورة النظر، أما العقيدة التي ترتدي هذين اللباسين فإنها تبقى في ذاتها غير منفعلة بهما ومستقلة عنهما، حتى أن ماهيتها لا تدرك في كمالها إلا بتجريدها منهما تمام التجريد بفعل إعمال العقل؟

زيادة على تأثر المسلمين بالحضارات الشرقية القديمة وسَرَيان مفاهيمها في عروقهم، تأثروا أيضا بفلسفة أرسطو ومنطقه فكان معلمهم الأول في مرحلة الترجمة القديمة، كما أصبح ديكارت معلمنا الأول في مرحلة الترجمة الحديثة، وغدا منطقه معيار العلم دون أن يدركوا أصوله المعرفية وانعكاساته الواقعية، كما غدا منطق ديكارت معيار العلم في عصرنا، فالمسلمون اعتبروا الترجمة أصل وعلومهم فرع على عكس اليونان والأوربيون الذين اعتبروا علومهم الأصل والترجمة هي الفرع، بل أنهم لم يصرحوا بالكثير من ترجماتهم أصالة، والسبب المركزي هو الوساطة السريانية المسيحية في الترجمة العربية، فاللغات تتباين فيما بينها اصطلاحا وتركيبا يقول التوحيدي: "اعلم أن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها، في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها، واستعارتها وتحقيقها، وتشديدها وتخفيفها، وسعتها وضيقها، ونظمها ونثرها وسجعها، ووزنها وميلها، وغير ذلك مما يطول ذكره؛ وما أظن أحدا يدفع هذا الحكم أو يشك في صوابه ممن يرجع إلى مُسْكةٍ من عقل أو نصيب من إنصاف، فمن أين يجب أن تثق بشيء ترجم لك على هذا الوصف؟ بل أنت إلى تعرّف اللغة العربية أحوج منك إلى تعرف المعاني اليونانية؛ على أن المعاني لا تكون يونانية ولا هندية كما أن اللغات تكون فارسية وعربية وتركية؛ ومع هذا فإنك تزعم أن المعاني حاصلة بالعقل والفحص والفكر،

فلم يبق إلا أحكام اللغة، فلم تُزري على العربية وأنت تشرح كتب أرسطوطاليس بها، مع جهلك بحقيقتها؟"[20]، و"لكل قوم لغة واصطلاح"[21] وأن تباين العربية واليونانية أشد من تباين العربية والسريانية.

وانتشر الاعتقاد بأن الحقيقة حكما معنويا خالصا، وأن ورودها في ألفاظ لا يؤثر في صدقها ولا يرفع عنها خلوصها، وإنما مبلغ هذه الألفاظ أن تظهر الحقيقة على الوجه الذي تصير به مدركة للسامع وللناظر حتى إذا تحقق إدراكها لهذه الحقيقة تلاشى دور الأصوات المسموعة والرسوم المقروءة وتوارت مكانة الألفاظ من الوجود.

غير أن انفصال العقيدة عن اللغة، واشتغالها بالمعاني أدى إلى انفصال العلم عن العمل، فتعلق الإنسان بذاته المفكرة أكثر من التعلق بحقيقة أفعالها، فوقع في المفارقة التامة بين الفكر والواقع، فاللغة وسيلة للربط بين كنه الذات المعتقدة وبين أفعالها، وتحقيق التوازن بين النظر في اللفظ والنظر في المعنى؛ يستوجب معرفة ضروب البنى اللفظية التي هي؛ البنى المعجمية والبنى النحوية والبنى النصية. فقد تم نسيان الخاصية الخطابية للعقيدة باعتبارها فعالية نصية منشئة للمضامين وصانعة لأشكالها ومغيرة لأحوالها نتيجة التأثر بالفلسفة العقلانية الشاملة التي جعلت من العقيدة حقيقة متعالية لا علاقة لها بالواقع، وغدا الخطاب العقدي بما هو نص مصنوع خارج عن تفكير الأصولي، فانفصلت الذات المفكرة عن الذات الفاعلة، وأصبح عالِم العقيدة أو الأصولي أو المتكلم يجرد العقائد من الألفاظ حتى انفصلت تماما عن المعرفة الطبيعية وخطاب الجمهور، واحتلت العقائد الإسلامية موقعها المتعالي بعد نهاية الخلافة الراشدة ولم تتزحزح عن هذا الموقع إلى يوم الناس هذا.

المطلب الرابع: الترجمة وسيلة لإثراء ودعم اللغة

استطاع الناقل المسلم والعربي أن يميز بين التراث المنقول والتراث الأصيل الذي ترتبط مضامينه بالمعرفة الإسلامية الأصيلة مثل؛ علم الفقه وعلم الكلام وعلم التفسير وعلم التصوف، ولكنه لم يُحمِّل نفسه عناء البحث في أسباب وجود الفروق الكبيرة والدقيقة

والعميقة بينهما، حتى يحدد للترجمة خُططا ملائمة تستثمر هذه الفروق استثمارا يفيد اللسان العربي والنظام المعرفي الإسلامي المنقول إليه، حتى لا يَحْدُث التصادم بين النظامين المعرفيين من جهة، وحتى لا يختل النظام المعرفي الإسلامي من جهة أخرى، غير أن الوساطة في الترجمة –كما تبين سابقا– زادت هذا الصدام حدة وزعزعت البنية التصورية للنظام المعرفي الإسلامي، فقد تم "إحداث لغة في لغة مقررة بين أهلها"[(22)]، لغة ثالثة لا هي لغة الأصل ولا هي لغة النقل، لغة هجينة لا هي على قواعد اللسان العربي في التعبير ولا هي على قوانين اللسان اليوناني في التبليغ، لغة عبر عنها صاحب "المعجب": بـ"قلق العبارة"[(23)].

بينما الفكر الغربي منذ اليونان استطاع أن يبحث أسباب وجود الفروق بين الدخيل والأصيل ويضع خططا دقيقة للترجمة، فقد أخذ أرسطو عددا معتبرا من الملفوفات المصرية القديمة وأسس بها مكتبة في أثينا[(24)] تعتبر من أكبر المكتبات في عصره، ومنها كانت الترجمة التي ساهمت في بناء وإثراء الفلسفة اليونانية.

وأُخِذت كتب المسلمين من المراكز الثقافية الإسلامية الكبرى في طليطلة والقسطنطينية وتمت ترجمتها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، بعد أن سبقتها بعثات علمية تمت فيها دراسة العلوم التي أنتجها المسلمون وتبيُّن أسباب الفروق بينها وبين العلوم الأوربية الأصيلة ورسم خطة دقيقة للترجمة تم فيها تصفية كل ما له علاقة بالعقيدة والإسلامية، فكان المكون العلمي الأساسي للحضارة التي أقامتها أوروبا والتي ما تزال قائمة إلى اليوم مبنية، على العلوم التي أنتجها المسلمون في حقبتهم الحضارية الزاهرة.

فازدهرت الحضارة الأوروبية بمختلف ثقافاتها وتقوّت عناصر هويتها، حتى أن بعض الألسنة لم تستكمل بنيانها وبسط نفوذها إلا بفضل هذه الترجمات؛ فهذا اللسان الألماني[(25)] مثلا قد استفاد أيما استفادة من ترجمة "لوثر" للإنجيل ومن مختلف الترجمات العربية في ترسيخ قواعده وتوسيع آدابه.

المبحث الثاني: انعكاسات الفعل الترجمي على الهوية والواقع

لما تبينت في المبحث السابق أهمية اللغة والترجمة في بناء الأنظمة المعرفية وتوجيه حركتها، كان من الضروري الوقوف عند انعكاسات الفعل الترجمي على الهوية والواقع، لأن اللغة -كما أكد علماؤها- تعيد عجن الواقع كما تساهم في إعادة صياغة الهوية، ولما كان الدين من العناصر المحورية في بناء هذه الهوية، كان من الضروري الكشف عن الأبعاد الدينية في العمل الترجمي، ثم بيان الأبعاد العقدية للمنطق الأرسطي والتي أثرت في الهوية الإسلامية ومزقتها إلى فرق وطوائف وزعزعت كيان الأمة، ثم بيان استمرار التأثير الإيديولوجي والفكري في العمل الترجمي، وأخيرا كيف تعيد الترجمة إعادة صياغة الواقع وتوجيهه.

والمسائل التي سوف تعالج فيه.

المطلب الأول: الترجمة وسيلة للدعوة الدينية

يذكر بعض المؤرخين أن اللغة التي تكلم بها رسول الله عيسى عليه السلام هي "الآرامية" التي كانت منتشرة في فلسطين في عهده، فتكون هي اللغة التي نزل بها الإنجيل، في حين أن نصوص الإنجيل الأربعة المشهورة والمنسوبة إلى "متى" و"يوحنا" و"مرقس" و"لوقا"، وردت باللغة اليونانية، فتكون عملية الترجمة قد تلقفت الإنجيل ولما يمضي على نزوله قرن من الزمن؛ لكن هذه النقول الأربعة أقيمت مقام الأصل الآرامي المنزل، بل اعتُمِدت كأصول حقيقية من وضع هؤلاء القديسين، وأطلق عليها اسم "الأناجيل الأربعة"، وقد ألغت الكنيسة منذ القرن الرابع الميلادي الكثير من الأناجيل المتداولة آنذاك، واعتمدت هذه الأناجيل الأربعة بعد أن حذفت منها الكثير من لأخبار، وتم الاستغناء التام على إنجيل برنابا "لأنه يتحدث بشكل صريح عن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيها يقول المسيح: ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، بالإضافة إلى نقضه المباشر لعقيدة الكنيسة"[26]، وقد كانت الترجمات للنسخة الأصلية سواء الآرامية أو النسخ التي ترجمت عنها باللغة اليونانية حورت وحرفت حسب ما تقتضيه نظرية المعرفة

اليونانية التي تطابق بين العقل والوجود، فقد "ذكر برنابا أن المسيح كان يغتسل قبل الصلاة بحسب أمر الله في توراة موسى، وكان يصلي باستمرار في أوقات ثابتة (الفجر والظهر والعشاء) ويصوم في أوقات محددة، كما ذكر أن التلاميذ كانوا دائما يصلون مع المسيح بانتظام ويصومون ويبكون متأثرين بتعاليم المسيح وكذلك مريم أم المسيح كانت دائما تصلي وتبكي..، أما الأناجيل الأربعة فلم تذكر شيء من هذا بل ذكرت عكس ذلك، مثل؛ أن التلاميذ يخافون المسيح وأنهم لا يصلون ولا يصومون"[27]، فتعاطت الكنيسة المسيحية على مر القرون نقلها إلى اللغات الأوروبية ثم إلى اللغات الأفريقية واللغات الآسيوية "حتى بلغت اللغات المترجم إليها ثمان مائة لغة أجنبية تمثل ثمانين بالمائة من تعداد سكان العالم، يقوم بها عددا هائلا من المترجمين يتجاوز ثلاثة آلاف مترجم"[28].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أصبحت الترجمة هي الوسيلة المثلى لتحقيق الشمولية والوصول إلى اللغة الجامعة التي تؤدي بدورها إلى تحقيق العقيدة أو الديانة الجامعة بين الديانات الستة (الإسلام واليهودية والمسيحية، والمجوسية والشركية والإلحادية)، وذلك من خلال الجمع بين التصور العقدي للغة في الديانتين اليهودية والمسيحية، والكليات اللغوية والبنى العميقة التي تمثل المشترك اللساني بين مختلف اللغات؛ العمل الأول قام به الفيلسوف الألماني والتر بنيامين Walter Benjamin توفي سنة 1940م، أثناء تحديده لمهمة المترجم في خلال ترجمة الأعمال الشعرية لشارل بودلير، والعمل الثاني تولاه علماء اللسانيات سواء كانوا بنيويون أو توليديون.

1- عمل والتر بنيامين: إذا كان كانط قد قام بنقد العقل المحض أو الخالص، فإن بنيامين قال باللغة المحضة التي هي الكلمة من حيث هي كذلك، وكما كانت في أصل الكون، "في البدء كانت الكلمة"، فالكلمة هي أصل الوجود، وهي التي تحقق التقارب بين الألسن؛ لأن اللفظة المفردة أشرف من الجملة المركبة، والكلمة الروحية تتضمن نزول المخلص؛ وهو مُعْتَقَدٌ يجعل الانسجام يعم بين الألسن كما يعم بين موجودات العوالم

بعد أن يتواصل نمو هذه الألسن إلى حين ظهور هذا المخلص، هذا التصور للغة ارتبط بالنص المقدس الذي أقيم مقام النص الأمثل لممارسة الترجمة ولتجلي اللغة المحضة، فممارسة الترجمة عمل تنكشف من خلاله أعم المعاني وأشمل الحقائق التي تنطوي عليها الألسنة المختلفة، وهذا يقود إلى الظفر بلغة كونية تشمل الإنسانية جمعاء تؤدي بدورها إلى عقيدة تجمع كل العقائد كما جمعت كل اللغات، غير أن هذا يتعارض مع الفطرة الإنسانية ومع سنن الله في اللغات يقول الجاحظ: "واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها"(29).

2- عمل علماء اللسانيات: يعتقد اللسانيون؛ بنيويون وتوليديون، أن هناك مجموعة من الكليات اللغوية والبنى العميقة التي تشترك فيها الألسن جميعا تفتح الباب لإمكان ترجمة بعضها إلى بعض، هذا المستوى اللغوي الجامع يجعل الترجمة تتصف بإمكان تحقيق الشمولية وتحقيق اللغة الكونية الجامعة التي تؤدي بدورها إلى الديانة الجامعة.

فالبنيويون وعلى رأسهم ديسوسير يعتقدون أن الألسن على اختلاف خصائصها تتضمن مجموعة من الكليات اللسانية التي هي انعكاس للكليات الثقافية، منها الكليات الصرفية والكليات التركيبية والكليات الدلالية، ويمثلون على هذه الكليات بما يوجد في اللغة من أقسام؛ نحوية؛ كالأسماء والأفعال والضمائر والأزمان والجهات، ومقولات دلالية؛ كالأشياء والأحداث والصفات والعلاقات، وأنماط خطابية؛ كالقصص والاستدلال والحوار.. ولولا وجود هذه الكليات اللسانية لما أمكن القيام بالترجمة بين لغات متباينة تباينا ثقافيا ظاهرا، فضلا عن أن اللغات المتقاربة حضاريا، حتى أن بعض البنيويين يزعمون بأن كل ما يقال في لسان بعينه يمكن أن يقال في غيره على اشتداد الفروق بينهما، إذ وراء هذا الظاهر المفرق جوامع لا انفكاك عنها.

أما التوليديون وعلى رأسهم زيلغ هاريس فقد ميزوا في الألسن بين البنية السطحية والبنية العميقة، بحيث أن البنية السطحية تتفرع عن البنية العميقة بواسطة عمليات يسمونها "التحويلات"، وقد قام غريماس Greimas في الستينيات من القرن العشرين

بمحاكاة أرسطو في مربعه الاستدلالي، بإنشاء مربع دلالي توليدي من شأنه أن يساعد في الكشف عن البنية العميقة، "فإذا اعتبرنا النص تجليا لكون دلالي مخصوص أمكننا –من خلال المربع– أن نتبين السمات التي هي في الوقت نفسه وحدات دنيا للدلالة"(30)، فالجملة الفعلية تتولد عنها الجملة الاسمية من خلال عملية القلب، والمبني للمعلوم يتولد عنه المبني للمجهول من خلال عملية الحذف، والمترجم عليه أن يهتم بالبنية العميقة ولا يهمه التفاصيل السطحية، ولما كانت البنية العميقة تتكون من أصول بسيطة فإن على المترجم أن يمر بثلاثة مراحل: مرحلة التحليل يستخرج فيها العناصر التي تتركب منها الجملة الأصلية المراد نقلها، ثم يردها إلى بنيتها العميقة البسيطة، محددا العلاقات الدلالية التي تربط بينها بواسطة مربع غريماس، ثم ينقل هذه البنى المقدرة للجملة الأصلية إلى ما يقابلها في اللغة الناقلة، ثم يصوغ أخيرا البنية الظاهرة في اللغة الناقلة متوسلا بالعمليات التحويلية المناسبة، ويقوم هذا التوسل في إجراء هذه العمليات على البنى العميقة المنقولة مع مراعاة مقتضيات التركيب في اللغة الناقلة.

المطلب الثاني: تأثير المنطق الأرسطي على الهوية اللغوية والعقدية

هناك علوم بنيتها العلمية مرتبطة ببنيتها اللغوية والنحوية، وبنيتها اللغوية مرتبطة ببنيتها العقدية مثل؛ المنطق، وهذا ما أدركه ابن تيمية وكشف عنه في كتابه: نقض المنطق؛ فمنطق أرسطو مبني حسب ما يقتضيه نحو اللغتين اللاتينية واليونانية، فالإسناد في اللغة الرومية لفظي؛ يتكون من الرابط الاقتراني (فعل الكينونة est)، بينما الإسناد في اللغة العربية معنوي، وهذا ينعكس على تصور الوجود، فالأوروبي يعتقد أن الأشياء في الوجود قائمة بذاتها، حسب عقيدته الوثنية أو الصابئية، بينما المسلم يعتقد أن الأشياء تقوم بأمر الله، فالعقيدة الوثنية تختبئ وراء فعل الكينونة est، وغياب هذا الرابط الاقتراني في العربية وراءه عقيدة التوحيد، لهذا كان هناك اختلاف كبير بين فلسفة أفلاطون وفلسفة أرسطو "وسبب ذلك ما ذكره طائفة ممن جمع أخبارهم، أن أساطينهم الأوائل كفيثاغورس وسقراط وأفلاطون كانوا يهاجرون إلى أرض الأنبياء بالشام ويتلقون عن لقمان الحكيم

ومن بعده من أصحاب داود وسليمان، وأن أرسطو لم يسافر إلى أرض الأنبياء ولم يكن له من العلم بأثرة الأنبياء ما عند سلفه، وكان عنده قدر يسير من الصابئة الصحيحة، فابتدع لهم هذه التعاليم القياسية أي –منطقه– وصارت قانونا مشى عليه أتباعه"(31) وهذا ما كشف عنه طه عبد الرحمن في مشروعه للدكتوراه عام 1972م "اللغة والفلسفة دراسات في البنية اللغوية لمبحث الوجود".

فاللغة العربية مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك، لهذا يربط الشاطبي بين اللغة والشريعة: "إذا كانت الشريعة عربية فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم لأنهما سيان في النمط، ما عدا وجوه الإعجاز، فإذا فرضنا مبتدئًا في فهمِ العربية فهو مبتدئ في فهم الشَّريعة، أو متوسطًا فهو متوسطٌ في فهم الشريعة، والمتوسط لم يبلغْ درجةَ النهاية، فإذا انتهى إلى الغايةِ في العربية كان كذلك في الشَّريعة، فكان فهمه فيها حجة، كما كان فهمُ الصحابة وغيرهم من الفصحاءِ الذين فهموا القرآن حجةً، فمن لم يبلغ شأوهم، فقد نقصه من فهمِ الشريعة بمقدار التقصير عنهم، وكل من قصر فهمه لم يكن حجة، ولا كان قوله مقبولاً"(32)، فاللغة العربية لها علاقة بسعة الذهن وحركة الفكر: "ففي اللغة الانجليزية يوجد 1120 طريقة للتعبير عن 40 صوتا، وفي اللغة الإيطالية يوجد 33 طريقة فقط للتعبير عن 25 صوتا، فالذين يتكلمون الانجليزية يستخدمون مناطق في المخ لا يستخدمها الإيطاليون"(33)، والشيء نفسه بالنسبة للغات الأوروبية الأخرى، فهي لغات تقوم على النحت، عدد أصواتها محدود وعدد طرق التعبير عن هذه الأصوات محدود أيضا، لهذا كان من الأسباب الرئيسة لخروج المستدمر الفرنسي من الجزائر عامل اللغة؛ حيث اختلطت اللغة الفرنسية بالعربية والكورسيكية والإيطالية فلم تصمد واعوج لسان المستدمرين وآلت لغتهم إلى اللغة العربية التي تمتلك أسباب الحياة(34)، أما اللغة العربية فهي لغة اشتقاق، إذا ارتبطت بالقرآن الكريم يصبح لديها ما لانهاية من الطرق للتعبير عن ما لا نهاية من الأصوات، وهذا ما تؤكده الآية الكريمة: **﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ**

جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: 109)، فيصبح التكوثر خاصية أساسية من خصائص العقل، ويصبح المنطق الإسلامي منطق له خاصية عمودية هي خاصية إقامة الميزان وخاصية أفقية هي خاصية الإصلاح، وهذا ما أدركه عبد الرحمن الأخضري حين بدأ المنطق بالبسملة(35) حتى يصبح وسيلة لمعرفة الحق والوصول إلى الإيمان، فالمنطق ليس فقط لمطابقة الفكر لذاته ومعرفة الصواب باستخدام وسائل الاستدلال والقياس كما يعتقد أرسطو، وإنما هو دربة لبلوغ الإيمان الحق.

المطلب الثالث: الترجمة وسيلة للتأثير الإيديولوجي والفكري

تختلف اللغات في تركيباتها الصوتية (الدوال)، وتختلف في ارتباط الصوت بالمعنى، كما تختلف في الأنظمة التصريفية التي تحدد الحالات الإعرابية، هذه الاختلافات تبرز صعوبة الانتقال من لغة إلى أخرى (الترجمة)، فاللغة الاصطلاحية الرمزية الموضوعة للاستعمال المجازي كلغة العلم ولغة الحساب ليس لها أنظمة تصريفية وليس لها انزياح "فالانزياح والتصريف هما الخاصيتان المميزتان للغة البشرية من بين الخاصيات الكثيرة التي يتم تجاهلها، عند تصميم الأنظمة الرمزية لأغراض أخرى التي قد ترفض شروط المقروئية التي تفرضها على اللغة البشرية عمارة العقل/الدماغ"(36)، ولما كان منطلق الترجمة هو الاشتغال بنقل الأناجيل اشتغالا متواصلا اتصف في بعض أطواره بصفة التوجيه المحكم والتنسيق الشامل، فلا غرو أن تصير الترجمة الإنجيلية هي النموذج الأمثل الذي يحتذيه عموم النقلة في مختلف دوائر المعرفة الإنسانية، قصدوا إلى ذلك أم لم يقصدوا، صرحوا بذلك أم لمحوا، كما أنه لا غرو أن يستمد التصور الشائع عن العمل الترجمي أسبابه وأوصافه من هذه الممارسة المسيحية للترجمة، حتى أن المؤلفات الأولى التي اجتهدت في تأسيس "علم الترجمة" الحديث كانت من إنشاء أولئك الذين أسندت لهم الرئاسة في ترجمة الأناجيل من أمثال "نيدا"، بل حتى أولئك الذين لم يعجبهم نمط هذا التأسيس وانتقدوا مبادئه النظرية ومناهجه العملية كانوا ممن شهد له بطول الباع في الترجمة المقدسة مثل "ميوشنيك".

المطلب الرابع: أثر الفعل الترجمي على الواقع

الواقع مصطلح يتخذ مفاهيم متنوعة ترتبط بأبعاد مختلفة حسب المجال المعرفي الذي يرد فيه؛ فعند النحاة هو "تعدي وتجاوز الفعل، من فاعله إلى مفعول به"[(37)]. وعند الحكماء والمتكلمين هو الخارج "فصِدق المتكلم مطابقة خبره للواقع وكذبه عدمها"[(38)]، فالتصور الذهني هو الذي يحدد النسبة الخارجية؛ بالمطابقة إذا كان هناك إثبات، وبعدم المطابقة إذا كان هناك نفي، لهذا فالواقع عند المتكلمين؛ "هو اللوح المحفوظ"[(39)]، وعند المتصوفة: "هو عالم بدون مادة ولا مدة، عالم الغيب أو عالم الملكوت"[(40)]، وعند الحكماء "هو العقل الفعال"[(41)]؛ فمفهوم المتكلمين والمتصوفة يبرز الارتباط بالعقيدة الإسلامية، لأن كل ما يحدث في الواقع موجود في العلم الإلهي، أما مفهوم الفلاسفة لا شك يبرز غلبة النظر العقلي المجرد في مرحلة انساق فيها الفكر العربي والإسلامي وراء تأثيرات الفلسفة اليونانية[(42)]، وقد يعني الواقع؛ "الوجود الحاصل الثابت خارج الذهن بالفعل"[(43)]، فيقال حصل هذا الأمر في الواقع، ويقال "الواقعة الحضارية"[(44)]، ويقال واقع الشيء، وهو مقابل لما يحصل في الوهم والتخيل، وبهذا تكون الواقعة؛ هي ما حصل حصولا فعليا في التجربة؛ مثال ذلك أن الشيء من حيث ماهيته ليس واقعة وإنما الواقعة أن يكون موجودا على هيئة ما في التجربة الإدراكية، التي تقترن بالحكم الذي يعبر عن المضمون الموضوعي لهذه التجربة؛ وبهذا فالأمور الواقعة تقابل الأمور الوهمية والظنية، وترادفها الأمور الحقيقية.

أما عند المنطقيين، فالواقع يكشف عنه؛ التعريف أو السؤال: ما هو؟ الدال على الماهية المسئول عنها بالمطابقة، كما إذا سئل عن الإنسان بما هو: فأجيب بالكائن المتخلق، فإنه يدل على ماهية الإنسان بالمطابقة "وأما جزؤه فإن كان مذكورا في جواب ما هو بالمطابقة أي بلفظ يدل عليه بالمطابقة يسمى واقعا في طريق ما هو، لأن المقول في جواب ما هو طريق ما هو"[(45)]، وبهذا فالواقع يقابله "التصوير"[(46)]، ففي المجالات المعرفية السابقة؛ النحوي والصوفي والكلامي والمنطقي، هناك علاقة وطيدة بين البنية

التصورية والواقع، فالتصور البنيوي للمفاهيم الأساسية هو الذي يتحكم في اللغة، واللغة هي التي تتحكم في الواقع، وهذا هو الذي اشتغل عليه تشوميسكي Noam Chomsky وربطه بخاصية الذكاء الإنساني، فالبنية التصورية التي تختفي وراء كل لغة هي التي تتحكم في قوانين إسناد الأفعال والتصورات والأوصاف والأحكام وصياغة الجمل ونحت المفردات، فاللغة لها بنيتها الخاصة التي تتفاعل مع الواقع بطريقتها الخاصة فتنتج ليس فقط معرفة، أو ثقافات أو مفاهيم بل تنشئ رؤية كونية (عقائد)، تعيد عجن وإعادة تشكيل الواقع وإعطائه صورة جديدة، والواقع بدوره يؤثر على الهوية ويساهم في إعادة تشكيلها، فاللغة تتكون من الدوال أو التمثيلات الصوتية التي ترتبط بالأجهزة الحسية الحركية، ومن المدلولات التي ترتبط بقوانين العقل وأجهزة التفكير أو الأجهزة المفاهيمية، وهي بهذا تنطوي على ثلاثة عناصر "خواص الصوت والمعنى التي تدعى السمات، ومفردات مركبة من هذه الخواص تدعى المفردات المعجمية، وتعبيرات معقدة مشكلة من هذه الوحدات الذرية"[47]، ينتج عن هذا أن الجهاز التوليدي الذي يولد التعبيرات يقوم بعمليتين؛ "واحدة تجمع السمات في مفردات معجمية، وأخرى تشكل موضوعات تركيبية أكبر من تلك الموضوعات المشكلة قبلا بدءا بالمفردات المعجمية"[48]، لهذا فاللغة عندما تنتقل من الألفاظ والمفاهيم إلى الجمل والتعريفات إلى النصوص والأدلة تتعقد وتمسك بالواقع وتدخل فيه وتعيد بناءه وتؤثر في الهوية تأثيرا مباشرا.

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة، يتبين أن الترجمة هي ضرورة تدخل ضمن السنن الحضارية التي يجب الاستفادة منها في إثراء الثقافة الأصل وزيادة العلم، ولكن يجب الاحتراز من التأثيرات المعرفية للثقافة المنقول منها. كما يتبين أيضا؛ أن اللغة هي عنصر أساسي من عناصر الهوية، ومنه فالترجمة تؤثر تأثيرا مباشرا على الهوية لأنها تمس بصميم اللغة الأصل.

وللحفاظ على قوة النظام المعرفي وانسجامه، يجب مراجعة مفاهيمه بشكل دائم، لتصفيتها من الشوائب التي انتقلت إليه، سواء عن طريق التفاعل الحضاري أو عن طريق

الترجمة، فاللغة تساهم في إعادة عجن الواقع وإعادة صياغته، وبالتالي فهي تؤثر في سلوك الأفراد وهويتهم الحضارية والسلوكية وحتى على بنيتهم التصورية وردود أفعالهم.

لهذا فإن البحث يوصي أولا: بالاحتراز في استخدام المفاهيم خاصة الدخيلة منها، كما يوصي بمحاولة مراجعة المفاهيم المركزية التي شكلت النظام المعرفي الإسلامي الأصلي. والله أعلم

الهوامش:

(1)-محمد، ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، ص426.

(2)- "يعود مجمل هذه القصة إلى أن أولاد سام بن نوح نزلوا بعد الطوفان أرضا فيما بين النهرين، فأقاموا بها مدينة يزينها برج عال أرادوا أن يبلغ عنان السماء، حتى يطلعوا منه على أسبابها، فعوقبوا بأن أحبط الإله أعمالهم وفرق شملهم ولبس عليهم لسانهم، حتى أضحوا لا يدركون مقاصدهم فيما بينهم، ومن ثم صارت قصة بابل في التراث اليهودي المسيحي ترمز إلى اختلاط اللسان" ينظر:- طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة (الفلسفة والترجمة)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1995م، ص61-62، وكذلك، ينظر:- الكتاب المقدس، العهد العتيق، مطبعة المرسلين، بيروت، د ط، 1925م، ج1، ص18-19..

(3)- إيتين دريوتون: مصر، ترجمة: عباس بيومي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ط، د ت، ص461، ينظر أيضا:- فاروق إسماعيل: الكتابة المسمارية، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2017م.

(4)- عامر سليمان: الكتابة المسمارية، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ط1، 142هـ-2000م، ص25.

(5)-Warwick Broy et Dauid Triwp. The Penguin Dictionary of Archaeology, Pengin Books-1975- p103.

(6)-I bid p105.

(7)- هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ترجمة: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، د ط، 1422هـ-2001م، ص174-178.

(8)- جون جلوب: امبراطورية العرب، ترجمة خيري حماد، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، 1966م، ص215.

(9)- أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1403هـ-1983م، ص13.

(10)- يُنظر:- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط، د ت، ص279-285.

(11)- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 1982م، ج2، ص529.

(12)- ابن سينا: النجاة في الحكمة الإلهية. مكتبة لسان العرب، القاهرة، ط3، 1357هـ-1938م، ص102-105.

(13)- الجرجاني علي بن محمد بن علي: كتاب التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، 1423هـ-2002م، ص158.

(14)- طه عبد الرحمن: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2006م، ص172.

(15)- يُنظر:- طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1999م، ج2، ص247-280.

(16)- يُنظر:- عبير بسيوني رضوان: أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 1433هـ-2012م، ص83-99.

(17)- مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ط4، 1987م، ص181.

(18)- محمد عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن. ترجمة: محمد عبد العظيم، دار القلم، الكويت، د ط، 1404هـ-1984م، ص15.

(19)- يُنظر:- محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ط3، د ت، ج1، ص4.

(20)- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، 1432هـ، 2011م، ج1، ص94 .

(21)- جلال الدين السيوطي: صون المنطق والكلام عن المنطق والكلام، نشر: علي سامي النشار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، د ت، ص15.

(22)-أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، مصدر سابق، ص97 .

(23)- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبط وتصحيح وتعليق وتقديم: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1، 1368هـ-1949م، ص243 .

(24)- ينظر:- خزعل الماجدي: كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2014م، ص26، كما ينظر كل من:- جورج جي، أم ، جيمس: التراث المسروق الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دط، د ت، و مارتن برنال: أثينة السوداء، ترجمة: لطفي عبد الوهاب وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دط، 2002م، (جزئين).

(25)- ينظر على سبيل المثال لا الحصر كتاب: "من الجبر إلى السكر: الكلمات العربية في اللغة الألمانية" للكاتب أندرياس أونغر Andreas Unger، وكذلك تأثير الأدب العربي في الأدب الألماني في أعمال فيلهام هاوف Wilhem Hauff .

(26)- سامي عامري: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة عند النصارى واليهود والهندوس والصابئة والبوذيين والمجوس، مركز التنوير الإسلامي للخدمات المعرفية والنشر، القاهرة، ط1، 1426هـ-2006م، ص351، ينظر أيضا الصفحات148-199.

(27)-نفسه، ص390.

(28)-Nida E. A. Charles R.T. 1982. The Theory and Practice of Translation. E.J. BRILL. Leiden. Preface.

(29)- الجاحظ: البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1423م، ج1، ص293.

(30) – محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010م، ص382.

(31)- تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية: نقض المنطق والانتصار لأهل الأثر، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن قائد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1435هـ، ص195-196.

(32)- الشاطبي: الموافقات، دار بن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1997م، ج5، ص53.

(33)- كريس فريث: تكوين العقل كيف يخلق المخ عالمنا الذهني، تر:- شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2012م، ص46.

(34)- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، تر:- شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2012م، ص46.

(35)- يُنظر:- إبراهيم الباجوري: حاشية شيخ الإسلام إبراهيم الباجوري على متن السلم المنورق في علم المنطق، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 1432هـ-2011م، ص11-20 .

(36) – نعوم تشوميسكي: آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ترجمة: عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2009م، ص51.

(37)- محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق:- علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م، ص474.

(38)- نفسه، ص1070.

(39)- لجرجاني: التعريفات، مصدر سابق، ص199.

(40)- محمد علي التهانوي: مرجع سابق، ص263.

(41)- الجرجاني: مصدر سابق، ص199.

(42)- يستخدم بن رشد مصطلح العقل الفعال على أنه المصدر الرئيس للمعرفة، لأنه الجانب الظاهر راجع؛ راشد، الغنوشي: " تأسيس المعرفة عند ابن سينا وابن رشد وديكارت"، مؤتمرات ابن رشد، الذكرى المئوية لوفاته، من 3إلى 8 ذو الحجة 1393 ه الموافق لـ 4 و 9 نوفمبر 1978م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د ط، 1986م، ج1، ص258. وأيضا رسالته في العقل التي وردت في كتاب؛ إرنست رينان : ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، (د ط، 1957م)، ص466.

(43)- محمود يعقوبي: معجم الفلسفة، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1988م، ص185. ويقول ابن خلدون: " العقل الفعال عبارة عن أول رتبة يتكشف عنها الحس" في كتابه: المقدمة، الطبعة الأزهرية، القاهرة، د ط، 1448هـ-1930م، ص458.

(44)- هذا المصطلح يستخدمه (مالك بن نبي) في اغلب كتبه فقد ورد مثلا في كتابه: شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، ط2، 1986م، ص61.

(45)- محمد علي التهانوي: المرجع سابق، ص1633.

(46)- استخدم (بن تيميه) هذا المصطلح في كتابه: الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص121.

(47)- نعوم تشوميسكي: آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، مصدر سابق، ص46.

(48)- نفسه.